

على طريق التحرير: لا يمكن أن يكون التعليم محايداً. إذا ما أردنا أن نتخطى التفسيرات الساذجة الشكلية للمهمة الإنسانية للتعليم فإن هذه النقطة يجب أن تكون نقطة الانطلاق نحو التفكير الانتقادي الجدلي. ولأننا نفتقد هذه الروح الانتقادية، فإننا نعجز عن إدراك الدور الحقيقي للتعليم، أو حتى إذا ما أدركنا، فإننا نجعله متخفياً. إننا نميل إلى تجاهل أو إغفال دور التربية – كعمل اجتماعي – وهو الدور الذي سيزل في خدمة الإنسان لتطويعه أو لتحريره. وفي أوقات أخرى، عندما لا يكون ثمة مناص من الاختيار بين التعليم كعملية للتأهيل والتعليم كعملية للتحرر، فإننا نبحث عن سبيل ثالث لا وجود له أصلاً. إننا نعلن أن التعليم عملية محايدة تستهدف نفسها وكأنها ليست ضرورة إنسانية، وكأن الإنسان لم يكن مخلوقاً بشرياً له جذوره في التاريخ، وكأن صدفة الغالبية لعملية التعليم ليست عملاً يقرر عدم الالتزام بحيادها. وبالإضافة إلى كل ذلك فإن كل ما نفعله كي نؤكد هذا الحياد هو اختيار التطويع الذي ما نلبث أن نطمس معاًه ونخفيه. فالتعليم المحايد لا يمكن في الحقيقة، أن يوجد. ومن الأمور الأساسية أن نعرف أننا عندما نعمل في محتوى 8ننهج التعليمي، وعندما نناقش الطرق والعمليات التعليمية، وعندما نخطط نرسم السياسات التعليمية، نكون منغمساً في أعمال سياسية تنطوي على اختيار أيديولوجي، وسواء كان هذا الاختيار غامضاً أو واضحاً، فليس ذلك بالأمر 8هم. ولكي نعتزف بأن التعليم المحايد غير حيوي فإن ذلك يستلزم أسلوباً من التفكير الانتقادي ومن إدراك الحقائق، كما يتطلب “أرسنة مستمرة ومتزايدة لهذا اللون من التفكير الذي يهذب نفسه باستمرار ساعياً دائماً إلى التغلب على التفكير 8ضاد، وهو ذلك الأسلوب الساذج من التفكير. إن هذا الأسلوب من التفكير الانتقادي هو الذي يحتاج إلى أن يتخطى 8ظاهر الخادعة باحثاً عن سبب وجود الحقائق، وعن العلاقات بـ الحقائق اختلفة التي تنتظم في مجموعها تحت حقيقة واحدة. ومع ذلك فإن تأكيد أن التعليم محايد ليس حيويًا، يجب ألا يقف فقط عند مستوى إدراك هذه الحقيقة، إذ إن مجرد الوعي بها لا يعني 8عرفة التامة بها. بل إنه من الضروري أن ننفذ داخل الواقع الذي تكون الحقيقة أحد أبعاده، وبهذا ‘كن، عن طريق 8عرفة الدقيقة لهذه الحقيقة وعن سبب وجودها، أن نرتقي ونسمو بهذه الفكرة. والقارئ 8ثل هذا الجزء من أفكار فريز، مقارنة باـدرسة النقدية كما عرضنا لها من قبل، يستطيع أن يلمس مايقرب من التطابق ولعل 8ثال الذي يسوقه لبيان زيف دعوى حيادية التعليم، تؤكد هذا الهدف الذي كثيراً ما نسمعه، وهو أن العملية التعليمية يقصد بها (صيانة الثقافة) الخاصة باجتماعت، ذلك أن العقل الانتقادي يرى في عبارة (صيانة الثقافة) تعبيراً غامضاً ومبهماً ويخفي وراءه شيئاً يحتاج إلى إيضاح. وحقيقة الأمر أن غموض تعبير (صيانة الثقافة) ‘كن التعبير عنه fـا هو أكثر دقة بأنه تخليد لقيم الطبقات 8سيطرة التي تنظم التعليم وتقرر أهدافه، فبهذا 8عنى يقوم التعليم 8نظم بتشكيل البناء العلوي، ويحافظ على التركيب الداخلي الذي أوجده، ومن هنا يصبح حياده غير حيوي وعندما يوجه التعليم نحو هذا الاتجاه وهو صيانة الثقافة – ولا يكون 8ربون دائماً على درجة من الوعي بهذا الأمر – فإن وظيفته تنحصر في ملائمة الأجيال الجديدة للنظام الاجتماعي الذي يخدمه التعليم، وهو النظام الذي ‘كن إصلاحه ويجب تجديده ليكون متمشياً مع روح العصر، ولكنه لا يتغير تغيراً جذرياً. إن نقطة الانطلاق من هذا التعليم للتطويع، وهي النقطة التي تتطلب إبعاد 8نطق عن الفكر، يجب أن تكون من 8نطق 8وجود بـا العقل أو fـعنى 8آخر من العلاقة بـا الإنسان والعالم، ومن العجيب أن نلاحظ أن محاولة تلخيص الفكر من سيطرة 8نطق ومن الهبوط به إلى مستوى البساطة والساذجة يجب أن يكون لها ذلك 8صدر الأساسي 8وجود في القوى الجدلية التي هي أساس التعليم وقاعدته. وليس هناك مهرب لأي من هذه الأشكال 8تضاربة من التعليم أو العمل الثقافي من 8نطق الواعي، رغم أن “أرسنها متعارضة 1أما مع هذا 8نطق. وبناء عليه فإن التعليم أو العمل الثقافي من أجل التطويع محتّم عليه أن يفصل العقل الواعي عن العالم، وأن يعتبر العقل الواعي مكاناً فارغاً داخل الإنسان يجب ملؤه fـحتويات. وهذا الانفصال الذي يؤدي إلى اعتبار العقل الواعي والعالم كياناً منفصلاً متضادين يتضمن انتفاء القوة الانعكاسية للعقل الواعي، التي تتحول إلى هذا الفراغ الذي أشرنا إليه، والواقع أن (العالم) و(العقل الواعي) ليسا متضادين، بل إنهما مرتبطان منطقياً داخل وحدتهما الأساسية الأصلية ومن أجل هذا فإن الصدق 8وجود في أحدهما يكتسب عن طريق الآخر، فالصدق لا ‘نح بل يفتح الـافاق لنفسه ويصنع نفسه. إنه اكتشاف وابتكار في وقت واحد. إن “أرسنة نظرية 8عرفة و8نطق في العمل الثقافي أو التعليمي من أجل التطويع يفصل التعليم عن التعلم، العلم عن العمل، التفكير عن التطبيق، التلقف عن الصياغة، استعادة 8علومات 8وجود عن خلق معلومات جديدة، وفي هذا اجمالاً تصبح 8عرفة هي تقبل 8علومات، أو (تكديسها). وهكذا فإن شكل الفعل يتسم – ولا يفقد هذه السمة – بأنه مجرد عملية نقل 8علومات، وفي هذه العملية ينقل 8علم، أي الفرد الذي يعلم 8معرفة 8وجود لديه إلى 8تعلم، وهو ذلك الفرد الذي لا يعلم. وفي أثناء هذه 8مارسة تكون 8عرفة مجرد حقيقة وليست عملية دائمة تستلزم تدريب البشر. وفي هذه الفلسفة الخاصة

با8عرفة وا8نطق لا يوجد هدف محدد، ولكن معرفة تامة 'تلكها 8علم، وعليه أن يحول، ويوصل، و'د، ويعطي، ويناول هذه 8عرفة التي 'لكها إلى 8تعلم (الجاهل)، وبهذه الطريقة تصبح الصفة الإيجابية للعقل والفكر، عندما يكون هدفه هو اجملتمع البشري، صفة سلبية. إن هذه الصفة الإيجابية هي التي توضح من ناحية قدرة الإنسان على (إعادة معرفة) 8علومات 8وجوده فعلا، ومن ناحية أخرى قدرته على ابتكار معلومات جديدة. والتعليم من أجل التحرير عكس التعليم من أجل التطويع. إنه خيالي متفائل بكمال بشري، ويسعى إلى السعادة. هو عمل للمعرفة ووسيلة لتحويل الواقع الذي يجب أن يحقق ذاته. إن بؤرة الانتباه لفلسفة الفكر وا8نطق تتغير جذريا من إنسان إلى <sup>أ</sup>خر من الألوان 8تعارضة للتعليم أو للفعل الثقافي.